عرفت هؤلاء

بقلم : انور السادات

هربت من المعتقل . وبدلا من أن استمتع بالحرية ، وأختفى عن عيون رجال البوليس السياسى ، والانجليز ، ذهبت إلى قصر عابدين تحت سمع وبصر رجال الأمن والحرس الملكى !

دخلت إلى القاعة الكبيرة ، وأمسكت بالريشة وكتبت فى دفتر التشريفات اسمى كاملا ، وتفاصيل هروبى من المعتقل ، وطلبت من الملك أن يعامل المعتقلون فى السجون والمعتقلات ، معاملة غير المعاملة السيئة التى يعاملون بها !

ثم غادرت القصر الملكى ، بين دهشة رجال الحرس والأمناء ، وركبت التاكسى وطلبت من السائق أن يعود بى إلى معتقل الزيتون مرة أخرى . فقد انتهت مهمتى خارج المعتقل ، وعدت إليه بكامل إرادتى !

٢

مس فرنسا!

فجأة

سمعنا صوت انفجار . الوقت ليلا . وكنا داخل السيارة التى هربنا بها من معتقل الزيتون ، فى طريقنا الى وسط القاهرة . وتصورنا ان قنبلة انفجرت تحتنا . ولم يكن هذا بالغريب ولا بالمستحيل . فنحن فى عز أيام الحرب العالمية الثانية . والقاهرة مظلمة ، كئيبة ، وشوارعها خالية تماما من المارة الذين تواروا داخل منازلهم ، خوفا من الغارات وخوفا من الظلام .

وكنا نحن الستة داخل السيارة التى اشتراها لنا زميلنا حسن عزت بتراب الفلوس ، واعدها لتكون فى انتظارنا بمجرد هروبنا من معتقل الزيتون . السيارة كانت قوية وجيدة ولم يكن يعيبها غير اطاراتها . فالحرب أوقفت استيراد الاطارات والموجود منها داخل البلاد كان يباع بأسعار خيالية . وعندما ابديت تخوفى من اطارات السيارة طمأننى حسن عزت واكد لنا ان السيارة سليمة واطاراتها جديدة ويمكنها ان تنقلنا حتى تركيا ...!

وبالفعل تحركت السيارة من أمام معتقل الزيتون ، وانطلقت بنا بسرعة عالية ولم يمض اكثر من دقائق معدودة حتى سمعنا الانفجار الذى زاد من عنف ورهبة ، الهدوء القاتل الذى كان يلفنا بظلامه ووحشته ! وأوقفنا السيارة على الفور . ونزلنا منها لنجد أن سبب الانفجار هو اطار العجلة الامامية !

وكانت المفاجأة الثانية ، والاهم ان زميلنا حسن عزت الذى سبق ان اكد لنا سلامة الاطارات وتحملها المشوار الطويل حتى تركيا !! صرخ وقال لنا :

يانهار زى بعضه دا العربية ما فيهاش فردة استبن!

وكان من الخطر ان نبقى فى مكاننا ولم يكن من الممكن ايضا ان نجد حلا لورطتنا . **وعلى الفور وجهت كلامى الى حسن عزت وقلت له :**

سنفترق الآن سانهب انا ومحسن فاضل فى ناحية وتذهب انت وباقى الزملاء فى ناحية اخرى وهذه هى مسئوليتك .

وابتعدت انا ومحسن فاضل بسرعة ..

ولحسن الحظ عثرنا على سيارة تاكسى وافق قائدها على الوقوف لنا ونقلنا الى وسط القاهرة .

ومحسن فاضل ابن ذوات . ومن اسرة ثرية . وتعلم فى مدارس اجنبية ويجيد القراءة والكتابة

واقترح محسن فاضل أن نذهب الى شقة شقيقه فى شارع قصر النيل . ووافقت على الاقتراح وذهبنا بالفعل الى منزل شقيق محسن الذى فوجىء بنا ورحب بنا وقدم لنا طعام العشاء .

وكان من الواضح انه لم يكن سعيدا كل السعادة باستضافتنا فى منزله حتى الصباح والسبب انه شقيق محسن وبالتالى سيكون منزله اول مكان يهاجمه البوليس بحثا عن محسن الهارب لتوه من معتقل الزيتون!

ووافقنا على ضرورة البحث عن مكان آخر نمضى فيه ليلتنا بعيدا عن قبضة البوليس وحتى نستطيع الوصول الى قصر عابدين فى اليوم التالى ونحقق الهدف من خطة الهرب من المعتقل .

وتركنا الشقة ونزلنا الى الشارع ونحن نتساءل عن المكان الذى يمكن ان نذهب اليه ونمضى فيه الليلة.

وفجأة توقف محسن وقال لى :

عندى فكرة جيدة جدا سنذهب الى آخر مكان يمكن ان يبحث فيه البوليس عنا ! سنذهب الى منزل سيدة فرنسية عجوز أعرفها واعلم انها تقيم بمفردها فى شقة صغيرة فما رايك ؟!

وقلت له :

لا مانع المهم ان تقبل استضافتنا حتى الصباح

واكد لى محسن فاضل ان السيدة سترحب جدا بنا فهو يعرفها منذ سنوات طويلة ماضية . وكثيرا ما الحت عليه لزيارتها بين الحين والحين .

وتوجهنا على الفور الى شارع الانتكخانة خلف ميدان الاسماعيلية واشار الى احد المنازل وقال لى :

ها هو منزلها وارجو ان نجدها فقد انقطعت عنى اخبارها منذ فترة

وصعدنا سلم العمارة ..

وتوقفنا امام احدى الشقق وضغط محسن على

واكدنا لها اننا تعشينا منذ اقل من ساعة ولكنها لم تصدقنا واصرت على الحفاوة بنا واصرت على ان ناكل الطعام الذى نزلت واشترته لنا ! واضطررنا الى تناول العشاء للمرة الثانية ..!

ثم بدانا نقص عليها قصتنا قلنا لها اننا هربنا من المعتقل منذ ساعات قليلة فلمحنا السعادة تغطى وجهها . كأنما هى التى هربت من السجن وعادت الى الحرية !

وبدأت تحدثنا عن الحرية وروعتها وكيف انها تستطيع أن تعيش فى فقر وحاجة والام ومرض ولكنها ابدا لا تستطيع أن تعيش يوما واحدا بلا حرية !

قالت لنا : ان العصفور الصغير قد لا يجد ما ياكله ولكنه يرفض أن يعيش داخل قفص من ذهب ، حتى ولو امتلأ بالطعام الذى لا يجده والانسان هو الآخر لا يمكن أن يستغنى عن الحرية ولا يطيق الاسوار ولا يقبل القيد . والدليل على ذلك انكما هربتما اليوم من السجن بحثا عن الحرية .

وضحكنا ...

وقلنا للسيدة الفرنسية اننا سنعود غدا صباحا الى الزنزانة والسجن مرة أخرى واننا سنتنازل بطوع ارادتنا عن الحرية ونتقبل الحياة وراء الأسوار !

وصرخت السيدة الفرنسية غير مصدقة ما تسمعه لم تصدق ان هناك من يفكر كما نفكر ويتصرف كما نتصرف ! ونظرت الينا كما لو كانت تنظر الى اناس غير طبيعيين قدموا من ارض غير تلك التى نعيش فوقها!

وبدانا محاولة اقناعها بوجهة نظرنا قلنا لها ان الحرية هى اثمن شىء فى الوجود ولكن حرية الوطن اهم بكثير من حرية المواطن . **قلنا لها اننا دخلنا السجن دفاعا عن حرية مصر وليس دفاعا عن حريتنا الشخصية فلم يرتكب احدنا جريمة عادية يعاقب عليها قانون العقوبات ولم نسرق ولم نقتل ولم نعتد على حرية غيرنا الجريمة الوحيدة التى عوقبنا عليها كانت حبنا لبلادنا وحرصنا على استقلالها ورغبتنا فى استرداد سيادتها قلنا لها ان البلاد سقطت فى ايدى المحتل الانجليزى وحكامها من المصريين سقطوا هم ايضا فى قبضة الاستعمار واصبحوا العوبة بين اصابعه ولابد من تغيير هذا**

اكثر على ان تتركنا ننام حتى تنتهى من اعداد كل شىء من طعام وشراب ولم تنس الصحف فقد كانت تقدر اهمية معرفة الأخبار بالنسبة لاناس هربوا لتوهم من المعتقل .

وامسكنا بالصحف وفوجئنا بأنها بايتة ! فبائع الصحف ضحك على السيدة الفرنسية واستغل جهلها باللغة العربية وباع لها صحف اليوم السابق على انها صحف اليوم !

وضحكنا وضحكت معنا السيدة الطيبة التى لا مكان للحقد فى قلبها .

مخصصا للمعتقلين السياسيين ، اما معتقل الطور فهو لاستقبال تجار المخدرات ، ومعتادى الاجرام ، واللصوص ، والقتلة . والذهاب الى معتقل الطور ـ فى سيناء ـ عملية تعذيب لا يتصورها العقل . وتستغرق الرحلة نحو يوم كامل . وتقوم به مركب اسمها « الطوافة فوزية » لانها تطوف على الموانىء ، وتستغرق رحلتها اسبوعا كاملا . وتقطع المسافة من السويس الى الطور فى نحو ٢٢ ساعة . وليس عليها طعام او شراب . وانما يأخذ كل معتقل

فقد نجح الملك هذه المرة فى الاطاحة بالوفد . وهذه حلقة من حلقات الصراع المزمن بين الملك والوفد . فكل واحد يتربص بالاخر ، معتمدا على تاييد الانجليز . وكان الوفد قد انتهى تماما بعد فضيحة ٤ فبراير ، وفقد البقية الباقية من رصيده الشعبى . ومنذ هذا اليوم والوفد يقدم على تصرفات تزيد من قرف الناس منه ومن رجاله . فالفساد استشرى ، والرشوة انتشرت ، وتعيين المحاسيب والاقارب والاصهار فى كل مكان ! واستغل الملك هذا كله ووجه للوفد ضربة قاصمة فى ٨ اكتوبر وحصل على موافقة الانجليز واصدر قرارا باقالة حكومة النحاس !

المهم الغى قرار نقلى للطور ، فأعادونى الى الزيتون ! وهناك عرفت ما حدث مما زاد من قرفى ، ويأسى من السياسة والساسة فى بلدى . فالملك ، وهو يعد ضربته ، اراد ان يمسك الاخطاء المتخمة بها مكاتب المسئولين الوفديين فى وزاراتهم ومصالحهم الحكومية .. فقبل ان يبعث بخطاب الاقالة للنحاس ، ارسل خطاب تكليف الوزارة الجديدة لاحمد ماهر . اى ان احمد ماهر عرف بقرار تكليفه ، قبل ان يعرف النحاس قرار اقالته ! وتم هذا بعد الظهر ، ولم يكن احد من الوزراء فى مكتبه ، وبالتالى تحرك احمد ماهر بسرعة وذهب الى رئاسة مجلس الوزراء ، واجرى مكالمته التليفونية . وكانت المكالمة الاولى مع معتقل الزيتون . وكانت تعليماته لمدير المعتقل هى :

ـ « افرجوا عن فريد ابو شادى فورا . وانقلوه الى وزارة الداخلية راسا ، وقبل ان يذهب الى بيته ! »

والمعروف عن فريد ابو شادى انه « خبير » انتخابات ! وكان الوفد قد امر باعتقاله ، وكان احمد ماهر يقدر مهارة ابو شادى فى نتائج الانتخابات واعمال وزارة الداخلية ، فامر بالافراج عنه ، وارساله له على الفور فى وزارة الداخلية ، ليتولى بنفسه امساك اية اوراق تدين الوفد تركها اصحابها فى مكاتبهم !

وكالعادة ، عند تكليف حكومة جديدة ، فانها تفرج عن المعتقلين المؤيدين لها والذين اعتقلوا بأمر الحكومة القديمة . وافرج احمد ماهر ـ رئيس الحكومة الجديدة عن المعتقلين السياسيين فى معتقل الزيتون والذين اعتقلتهم حكومة النحاس .. وكانوا من احزاب الكتلة والسعديين والدستوريين . اما انا فلم يفرج عنى لاننى لم اعتقل بقرار من حكومة الوفد ، وانما اعتقلت بقرار من السلطة البريطانية !

ومللا اليأس قلبى ..

ولم أعد اعرف ماذا افعل . ولا متى سيفرج عنى !

وانسدت نفسى عن الطعام . وقررت ان اضرب عنه . ونقلت الى مستشفى قصر العينى .

وهناك قررت الهرب .

ونجحت خطتى ..

وهربت من قصر العينى ..